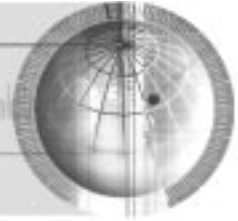


## الفصل الخامس

### باكستان تحت حصار المحور الأمريكي - الإسرائيلي - الهندي

الدكتور  
أحمد البرصان

رئيس قسم الإعلام والدراسات الاستراتيجية، جامعة الحسين بن طلال، الأردن



## باكستان تحت حصار المحور الأمريكي . الإسرائيلي . الهندي

د. أحمد البرصان

### مقدمة:

تواجه باكستان عدة تحديات تمس أمنها القومي في الجوهر ، وهذه التحديات تهدد : الهوية الإسلامية التي قامت عليها باكستان ، والسلاح النووي الباكستاني ، وقضية كشمير الإسلامية . وقد جاءت هذه التحديات مرتبطة بالمتغيرات الدولية ؛ بانهايار الاتحاد السوفيتي ، وهيمنة الولايات المتحدة على النظام الدولي ، واستغلالها لأحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠٠ م من أجل إحكام سيطرتها على العالم تحت شعار (محاربة الإرهاب) .

### أولاً: باكستان رؤية تاريخية:

أعلنت دولة باكستان في ١٤ أغسطس (١٩٤٧م) ، ويتميز تاريخ باكستان السياسي - منذ عام ١٩٤٧م - (٢٠٠٣م) ، وهي فترة تمتد ٥٦ عاماً - بهيمنة الجيش ، حيث تنقسم الحياة السياسية إلى فترة مدنية وأخرى عسكرية ، الحكم المدني لم يستمر خلال هذه الفترة سوى ٢٢ عاماً ، وتشكل هذه الفترة نسبة ٣٩٪ من عمر باكستان ، والحكومات العسكرية التي تعاقبت على باكستان حتى الآن استمرت ٣٤ عاماً ؛ أي ٦١٪ من الحياة السياسية الباكستانية ، وكانت فترة الحكم المدني منذ (١٩٥٧م - ١٩٥٨م) ، ثم استولى الجيش على السلطة ، ثم جاءت فترة علي بوتو (١٩٧١م - ١٩٧٧م) التي انتهت باستيلاء ضياء الحق على السلطة بانقلاب عسكري استمر حكمه حتى عام (١٩٨٨م) عندما تعرض لحادث طائرة ، تردد حينها أن الاستخبارات الأمريكية وراء الحادث (١) . ولقد تعاقبت بعد ضياء الحق عدة حكومات مدنية حتى انقلاب مشرف على حكومة نواز شريف أكتوبر عام (١٩٩٩م) ، ومنذ ذلك الحين عادت الهيمنة للمؤسسة العسكرية .

امتد نفوذ الجيش الباكستاني الذي يسيطر على الحياة السياسية الباكستانية إلى المجالات الاقتصادية والاجتماعية وحتى الثقافية ، فالقادة العسكريون يتمتعون بامتيازات كثيرة ؛ سواء في مجال امتلاك الأرض الزراعية والمزارع الواسعة أو في مجال الاستثمارات ، ويمارس جهاز الاستخبارات الباكستاني (I.S.I) دوراً مهماً داخل المؤسسة العسكرية وفي الحياة السياسية ، وقد نشط دوره بشكل فعال خلال فترة الوجود السوفيتي وحركات الجهاد الإسلامي في أفغانستان (٢) .

(1) Abid Ullah Jan " The Pakistani Army versus Pakistan" Ummah News.com 21 January, 2002.

(2) Bidando Chengappa "ISI Role in Pakistan's politics" Strategic Analysis, vol.xxii no.ii, pp.1857-1818.



### ثانياً: الأهمية الاستراتيجية لعلاقة باكستان والولايات المتحدة:

لقد حظيت باكستان بأهمية استراتيجية خلال الحرب الباردة، وكانت تقع ضمن استراتيجية الاحتواء الأمريكية في مواجهة النفوذ السوفييتي، فقد كانت باكستان عضواً في الحلف المركزي (CENTO) الذي تشكّل عام ١٩٥٤م، وقد سقط هذا الحلف رسمياً مع سقوط شاه إيران عام ١٩٧٩م، وكان يضم إيران وباكستان وبريطانيا وتركيا، وكانت العراق عضواً فيه حتى إنه عُرف بـ (حلف بغداد)، ومع انقلاب تموز ١٩٥٨م ونهاية الملكية في العراق؛ أصبح الحلف يقتصر على الدول الأربعة المذكورة سابقاً، وكانت الولايات المتحدة مراقباً فيه، ولكن رغم أن باكستان كانت عضواً رئيساً في الحلف فإن هذه الدول لم تتدخل لمساعدة باكستان في حربها مع الهند عام ١٩٦٥م وعام ١٩٧١م<sup>(١)</sup>.

كما كانت باكستان أيضاً عضواً في منظمة جنوب شرق آسيا حلف السيتو (SEATO)، والذي كانت الولايات المتحدة عضواً فيه ليضم دول جنوب شرق آسيا الفلبينية وتايلاند؛ إضافة إلى أستراليا ونيوزيلندا وفرنسا وبريطانيا، وقد تأسس الحلف عام ١٩٥٤م، وانتهى رسمياً عام ١٩٧٧م، وكما هو حال الحلف السابق لم يقيم الحلف بمساعدة باكستان في حروبها مع الهند<sup>(٢)</sup>.

ولقد استغلت الولايات المتحدة باكستان بإقامة محطة تجسس إلكتروني في بيشارو عام ١٩٥٩م للتجسس على الاتحاد السوفييتي، وسمحت باكستان لطائرات (يو-٢) (U-2) باستعمال الفضاء الباكستاني للتجسس أيضاً؛ إضافة إلى استعمال المطارات الباكستانية لخدمة الأهداف العسكرية الأمريكية.

ولقد مارست باكستان دوراً مهماً في الحرب الأفغانية ضد الاتحاد السوفييتي، حيث كانت عمقاً استراتيجياً للمجاهدين، وكانت الاستخبارات الأمريكية تنشط في باكستان، ولكن مع انهيار الاتحاد السوفييتي رسمياً عام ١٩٩١م، وحرب الخليج الثانية (الكويت) ١٩٩١م، ووجود القوات الأمريكية في الخليج العربي؛ تراجعت الأهمية الاستراتيجية الباكستانية في نظر الولايات المتحدة الأمريكية.

وإثر تحولات النظام الدولي والمتغيرات الإقليمية في الشرق الأوسط ومؤتمر مدريد عام ١٩٩١م، وبرز الصين قوة محتملة في المستقبل؛ بدأت الولايات المتحدة تتوجه إلى الهند بوصفها قوة نووية واقتصادية صاعدة وبشرية حيث عدد سكانها يصل إلى مليار نسمة؛ لتكون القوة البشرية والنووية التي يمكن أن تواجه الصين الشعبية في المستقبل.

### ثالثاً: العلاقات الأمريكية - الهندية:

ترجع جذور العلاقات الهندية - الأمريكية إلى عام ١٩٤٢م؛ أي قبل استقلال الهند بخمسة أعوام، ولقد صرح الرئيس الأمريكي فرانكلين روزفلت إلى رئيس وزراء بريطانيا آنذاك تشرشل أن الولايات المتحدة تؤيد

(1) Martin Glassner, Political Geography, New York: John Wily and Sons, Inc, 1993, p.431.

(2) Ibid.



استقلال الهند، وعندما حدثت الأزمة الكورية (١٩٥٠م - ١٩٥٣م) صوتت الهند في سبتمبر ١٩٥٠م إلى جانب الولايات المتحدة في مجلس الأمن الدولي؛ في إدانة كوريا الشمالية كدولة معتدية على كوريا الجنوبية، إلا أن الهند تغيبت عن اجتماع مجلس الأمن الدولي عند إدانة المجلس للصين الشعبية لدورها في كوريا<sup>(١)</sup>.

وعندما دخلت باكستان في الأحلاف العسكرية الغربية؛ فإن الهند قد تبنت سياسة عدم الانحياز، وأصبحت مع مصر ويوغسلافيا الدول المؤسسة لحركة عدم الانحياز بزعامة جمال عبد الناصر ونهرو والجنرال تيتو، ولقد كانت الهند قلقة من مواقف الولايات المتحدة عند مناقشة قضية كشمير في الأمم المتحدة في أعوام (١٩٥٧م، ١٩٦٢م، ١٩٦٤م).

ورغم العلاقات السياسية الهندية الأمريكية التي تميزت بالبرودة والفتور خلال الخمسينيات والستينيات؛ فإن المساعدات الاقتصادية الأمريكية للهند خلال الفترة (١٩٥٠م - ١٩٦٥م) كانت تشكل ٥٠٪ من جملة المساعدات الخارجية التي تصل إلى الهند، وكان معظم هذه المساعدات على شكل مساعدات غذائية، وكانت الولايات المتحدة أيضاً قد اتفقت مع الهند على بناء مفاعل نووي للأغراض السلمية عام ١٩٦٣م، إلا أنها قد تراجعت عن ذلك؛ مما دفع الهند إلى التوجه نحو الاتحاد السوفيتي<sup>(٢)</sup>.

وعندما حدثت حرب الحدود بين الصين والهند عام ١٩٦٢م؛ حصلت الهند على مساعدات عسكرية من الولايات المتحدة وبريطانيا، ولكن هذه المساعدات كانت مشروطة بالأستعمل ضد أية دولة أخرى عدا الصين الشعبية، وبإيجاد حل لقضية كشمير، كما أصبحت الهند تحت مظلة الحماية النووية الأمريكية. وعندما حدثت حرب ١٩٦٥م بين الهند وباكستان؛ كان الموقف السياسي الأمريكي والصيني مؤيداً لباكستان، وكان الموقف السوفيتي على الحياد بين البلدين، ومارس السوفييت دور الوسيط بينهما في محادثات طشقند، ولقد توجهت الهند بعد ذلك إلى تعزيز علاقاتها مع الاتحاد السوفيتي<sup>(٣)</sup>.

وعندما واجهت الهند أزمة غذاء عام ١٩٦٦م؛ استغلت الولايات المتحدة ذلك بإجبار الهند على تخفيض الروبية، وفي الحصول على تأييد الهند للسياسة الأمريكية في فيتنام، وحسب قول السفير الأمريكي في الهند آنذاك؛ فقد كانت الولايات المتحدة تتمهل في إرسال القمح الأمريكي للهند من أجل كسب تأييدها، أو على الأقل لكيلا تنتقد الهند السياسة الأمريكية في فيتنام باعتبارها من قادة دول عدم الانحياز.

وعندما اقتربت السياسة الأمريكية من الصين الشعبية في عهد الرئيس الأمريكي نيكسون؛ فقد أثرت هذه العلاقة في الهند أمام المحور (الأمريكي - الصيني - الباكستاني) المحيط بالسوفييت، ومع حرب ١٩٧١م

(1) David Tomar, India-US Relations in a changing strategic enviroment. Information Analy sis and Advice for the Parliament, Department of the Parliamentary Library, 2002, p.2.

(2) Ibid. p.6.

(3) Ibid.



وانفصال باكستان الشرقية (بنجلادش حالياً)؛ فقد أصبحت الهند قوة رئيسة في جنوب آسيا بانتصارها على باكستان، وعززت صداقتها مع الاتحاد السوفيتي بتوقيع اتفاقية التعاون والصداقة معه عام ١٩٧١ م.

أجرت الهند أول تجربة نووية عام ١٩٧٤ م، وعندئذ اعترفت الولايات المتحدة بأهمية الدور الهندي في جنوب آسيا، وكذلك جنوب شرق آسيا؛ خاصة بعد محاولة الهند عام ١٩٧٦ م تطبيع علاقاتها مع الصين الشعبية<sup>(١)</sup>.

وعندما جاءت إدارة فورد بعد استقالة الرئيس الأمريكي نيكسون؛ قامت برفع حظر بيع الأسلحة عن الهند عام ١٩٧٥ م، وكانت الهند قد طلبت شراء الصواريخ المضادة للدبابات صواريخ (Tow) بقيمة ٣٢ مليون دولار، ولكن هذه الصفقة لم تتم<sup>(٢)</sup>.

وحدث فتور في العلاقات الهندية - الأمريكية في عهد ريجان، وخاصة أن العلاقات التاريخية لحزب المؤتمر الهندي كانت مع بريطانيا أكثر مما هي مع الولايات المتحدة، وكانت رئيسة وزراء الهند أنديرا غاندي ذات علاقة مع بريطانيا في أثناء فترة تاتشر، وضد التورط الأمريكي في مساعدة باكستان والمجاهدين الأفغان، ولها علاقة مع الاتحاد السوفيتي، ولذلك اتُهمت الاستخبارات الأمريكية بأنها خلف عملية اغتيال أنديرا غاندي عام ١٩٨٤ م على يد أحد الانفصاليين السيخ.

### رابعاً: العلاقات الهندية - الأمريكية بعد الحرب الباردة؛

كانت نهاية الاتحاد السوفيتي والثنائية القطبية فرصة استغلتها الولايات المتحدة لإقامة علاقات جديدة ومتينة مع الهند، كما أن الهند من جانبها، وفي ظل تصاعد القوة الصينية، وجدت نفسها في حاجة إلى التقارب مع الولايات المتحدة الأمريكية لأسباب اقتصادية وسياسية بالإضافة إلى الاستراتيجية.

لقد تبنت الهند سياسة الاقتصاد الليبرالي منذ عام ١٩٩١ م، وقام رئيس الوزراء الهندي راو RAO بزيارة الولايات المتحدة عام ١٩٩٤ م، وإلقاء خطاب في جلسة مشتركة للكونجرس الأمريكي، والتقى الرئيس كلينتون<sup>(٣)</sup>. وقد أدت هذه الزيارة إلى تقارب هندي - أمريكي دفع إلى التعاون الاقتصادي بين البلدين، فالهند سوق استهلاكية واستثمارية كامنة للشركات الأمريكية.

لقد بلغت الاستثمارات الأجنبية المباشرة في الهند عام ١٩٩٠ م حوالي ١٠٠ مليون دولار، ووصلت في عام ١٩٩٦ م إلى ٤, ٢ مليار دولار، وفي عام ٢٠٠٢ م وصلت هذه الاستثمارات إلى ٥, ٢ مليارات دولار،

(1) Ibid.

(2) Ibid, 9.

(3) K.A. Kronstadt. Indo-U.S. relations, Congressional Research Service, Library of Congress, October 9, 2003, p.2.



ومن المتوقع أن تصل في عام ٢٠٠٣م إلى ٧ مليارات دولار، أكثر من ثلث هذه الاستثمارات للشركات الأمريكية.

أما بالنسبة للتجارة بين البلدين؛ فقد صدرت الولايات المتحدة للهند ما قيمته ١, ٤ مليارات دولار، بينما وصلت واردات الولايات المتحدة من الهند في العام نفسه ٨, ١١ مليار دولار. وتركز الولايات المتحدة على زيادة تجارتها، وتدفع الهند إلى إزالة الحواجز الجمركية والانقسام الاقتصادي؛ حتى يصب في مصالح الشركات الأمريكية<sup>(١)</sup>.

أما الجانب الأمني؛ فإن الولايات المتحدة قدمت مساعدات عسكرية للهند منذ عام (١٩٤٧م - ٢٠٠١م) تقدر بحوالي ١٥٣ مليون دولار، ٩٤٪ من هذه المساعدات كانت بين (١٩٦٢م - ١٩٦٦م)، بينما حصلت باكستان خلال تلك الفترة على ثلاثة مليارات دولار كمساعدات عسكرية.

وتركز المساعدات الأمنية بين الهند والولايات في مجال الأسلحة والاستخبارات، فقد تشكلت مجموعة سياسة الدفاع الهندية - الأمريكية (D.P.G)، ولقد ناقشت هذه المجموعة في اجتماعها مايو/ ٢٠٠٢م التعاون في مجال الصواريخ ومقاومة النفوذ الصيني<sup>(٢)</sup>.

ولقد قامت عدة مناورات عسكرية مشتركة بين البلدين، ففي سبتمبر/ ٢٠٠٢م أجريت مناورات بين القوات الأمريكية والهندية على الحدود الصينية، واستمرت لمدة أسبوعين، كما أنه تمت مناورات بحرية كذلك بين البلدين في جنوب السواحل الهندية بالمحيط الهندي، وزاد الاهتمام بدور عسكري للهند في أواسط آسيا والخليج العربي، ولقد زادت مبيعات الأسلحة للهند بسبب الأهمية الاستراتيجية لها بالنسبة للصين<sup>(٣)</sup>.

ويمكن القول بأن التعاون بين الهند والولايات المتحدة قد زاد بعد أحداث ١١ / ٩ / ٢٠٠١م، وخاصة في مجال الاستخبارات ومحاربة التيارات الإسلامية في كشمير وباكستان وآسيا الوسطى، وفي التعاون العسكري ضد الصين الشعبية.

لذلك هنالك ثلاثة أمور مهمة للاستراتيجية الأمريكية بالنسبة للهند:

- مقاومة ما تسميه البلدان بالإرهاب، والمقصود الحركات الإسلامية.

- ومقاومة التيارات الإسلامية.

- واحتواء الصين الشعبية.

ولذلك سمحت الولايات المتحدة لإسرائيل بتزويد الهند بأسلحة وطائرات واستخبارات عن باكستان.

(1) Ibid. p.13.

(2) Ibid. p.10.

(3) Ibid.



ولقد أيدت الهند الحرب الأمريكية في أفغانستان وإسقاط حركة طالبان، واعترفت بحكومة كرزاي باعتبارها ذات أهمية استراتيجية في حصار النفوذ الباكستاني في آسيا الوسطى وأفغانستان.

### خامساً: العلاقات الهندية - الباكستانية:

تميزت العلاقات بين البلدين بالتوتر والحروب، فهناك حرب (١٩٤٨ - ١٩٤٩م)، وكذلك حرب (١٩٦٥م) وحرب (١٩٧١م)، وكان الخلاف حول قضية كشمير التي ما زالت تقلق البلدين، ونجد أن هذا الصراع تميز بسباق التسلح، فقد فجّرت الصين أول تجربة نووية لها عام ١٩٧٤م، وامتلكت فيما بعد السلاح النووي، وأصبحت باكستان دولة نووية عام ١٩٩٨م؛ مما دفع الولايات المتحدة لفرض قيود تجارية على البلدين، وعندما كانت باكستان تدعم المجاهدين في أفغانستان؛ كانت الهند على علاقات وطيدة مع الاتحاد السوفيتي السابق، وبسبب الحرب في أفغانستان في ظل الوجود السوفيتي نمت الجماعات الإسلامية، وبالتالي برزت حركات الجهاد في كشمير ضد الهند؛ مما أقلق الحكومة الهندية فهددت الحكومة الباكستانية واتهمتها بأنها وراء هذه الجماعات، ولذلك تتركز الخلافات حول الجماعات الإسلامية المجاهدة، وقضية كشمير، ومحاولة الهند تحييد خطر السلاح النووي الباكستاني.

### سادساً: العلاقات الهندية - الإسرائيلية:

رأينا أن هناك علاقات تميزت بالصراع بين الهند وباكستان خلال الحرب الباردة، وبعد انهيار الاتحاد السوفيتي ظهرت علاقات أمريكية - هندية لأسباب استراتيجية واقتصادية، وتراجع الدور الباكستاني، وتطورت خلال عقد التسعينيات العلاقات بين الهند وإسرائيل، وخاصة بعد عقد مؤتمر مدريد عام ١٩٩١م، فقد رفعت الهند في يناير ١٩٩٢م علاقاتها مع إسرائيل إلى مستوى السفارة، وتم تبادل الزيارات بين إسرائيل والهند، والتعاون في ثلاثة أهداف استراتيجية:

الهدف الأول: المجال العسكري بالأسلحة والاستخبارات.

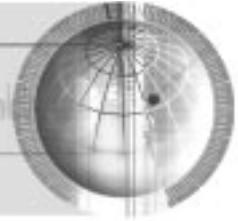
والهدف الثاني: مقاومة الجماعات الإسلامية سواء في كشمير أو باكستان وأفغانستان.

الهدف الثالث: فهو إجهاد المشروع النووي الباكستاني باعتباره يشكل خطراً على إسرائيل والهند<sup>(١)</sup>.

وإضافة إلى الأهداف الثلاثة السابقة؛ فإن الهند ترى قوة اللوبي الصهيوني ذات أهمية كبيرة في علاقاتها مع الولايات المتحدة، وخاصة من خلال هيمنة اليمين الصهيوني المسيحي المتطرف على الإدارة الأمريكية الحالية، فقد كان اللوبي الصهيوني وراء وقف صفقة طائرات أو اكس لباكستان (AWACS) قبل عدة سنوات،

(1) D. Kumar, India-Israel: Dawn of a New era, Long western defense.org. Free Repub lic.com. Aconservative news Forum.december 1, 2001. -P.R. Kumaraswamy, India and Is rael evolving strategic partnership, Mid-east Security and Policy Studies, no.4, Center for Strategic studies, Bar-Ilan University September 1998.





وهذا يصب في مصلحة الهند الاستراتيجية .

ولذلك نجد أن اللوبي الصهيوني يدفع بتطبيع العلاقات (الهندية - الإسرائيلية - الأمريكية)، والتي توجت بزيارة شارون رئيس وزراء إسرائيل في سبتمبر ٢٠٠٣م، وهو يعكس قمة التعاون الهندي - الإسرائيلي على الرغم من جرائم شارون في فلسطين، ثم يبين نهاية سياسة عدم الانحياز الهندية على المستوى الإقليمي، وهناك من المحللين من يسوّغ سياسة الهند بأنها لم تعد بحاجة قوية إلى البترول العربي بعد انخفاض أسعار البترول، وتأييد منظمة المؤتمر الإسلامي لباكستان في مطالبها بكشمير، ثم دخول العرب في اتفاقيات سلام مع إسرائيل وعلى رأسهم منظمة التحرير الفلسطينية<sup>(١)</sup>.

ولكن تولي الحزب الهندوسي المتطرف بزعامة بهاري فاجباي رئاسة الوزارة الهندية؛ كان له آثاره السياسية في العلاقات الهندية - الإسرائيلية، وخاصة أن حزب المؤتمر الوطني الهندي، وهو الحزب التقليدي تحت زعامة أسرة غاندي، كان يؤيد دائماً الموقف المعتدل بين العرب وإسرائيل بسبب الوجود الإسلامي في الهند، حتى إن موشيه ديان زار في أوائل السبعينيات الهند سراً خوفاً من رد فعل المسلمين الهنود؛ لما لهم آنذاك من دور سياسي في الهند، وهو الدور الذي تراجع مع تولي الحزب الهندوسي المتطرف الحكم في السنوات الأخيرة.

لقد تم رفع مستوى العلاقات الإسرائيلية - الهندية عام ١٩٩٢م إلى مستوى السفارة وتبادل السفراء، وارتبط ذلك بزيارة رئيس وزراء الهند آنذاك رAO إلى الولايات المتحدة. ولقد استطاعت الهند وإسرائيل خلال عشر سنوات من التعاون توثيق العلاقات الاقتصادية والعسكرية والاستخباراتية بين البلدين؛ تحت شعار مقاومة الإرهاب، وهو بالتحديد ما يسميه الطرفان «الإرهاب الإسلامي»<sup>(٢)</sup>.

وتركز إسرائيل أيضاً في علاقاتها مع الهند على الجانب الثقافي أيضاً، فبعد عام ١٩٩٢م كانت هناك علاقات ثقافية هندية - إسرائيلية لنقل مستوى العلاقات من الجانب الرسمي إلى الجانب الشعبي ومنظمات المجتمع المدني، ولقد زار شمعون بيرز إسرائيل عام ١٩٩٣م، والرئيس الإسرائيلي عازرا وايزمان ١٩٩٧م كما زار وزير الخارجية الهندي سينه Singh إسرائيل عام ٢٠٠٠م، وكذلك زار وزير الداخلية الهندي أدربي Adrani إسرائيل في العام نفسه، وزاد عدد الطلبة الهنود الذين يدرسون في الجامعات الإسرائيلية من أجل فتح قنوات مع المؤسسات الأكاديمية الهندية لمصلحة إسرائيل<sup>(٣)</sup>.

أما على الجانب الاقتصادي؛ فقد زادت الاستثمارات الإسرائيلية في الهند؛ من أقل من مليون في عام

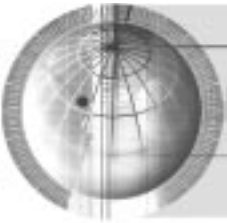
(1) Ibid.

(2) David Tomar 2002. op.cit.

(3) D. Kumar 2001.2001, op.cit.







١٩٩٢م إلى أن وصلت هذه الاستثمارات في عام ١٩٩٩م إلى مليار دولار، أما التبادل التجاري؛ فقد كان حجم التبادل بين البلدين عام ١٩٩٢م ما قيمته ٢٠٢ مليون دولار، فوصل عام ٢٠٠٠م إلى مليار دولار<sup>(١)</sup>.

ولعل أخطر جانب في التعاون الهندي - الإسرائيلي في المجال العسكري؛ هو شراء الهند معدات تقنية متقدمة في مجال التجسس، وإجراء محادثات لتدمير القوة النووية الباكستانية.

إن الهند تأتي اليوم على قائمة الدول المستوردة للأسلحة الإسرائيلية، فهي تأتي بعد الصين وتركيا في استيرادها للأسلحة، ولا تضع الولايات المتحدة قيوداً على التكنولوجيا المتقدمة المبيعة للهند.

وتهدف إسرائيل إلى تعزيز التعاون مع الهند لحماية السفن الإسرائيلية المتوجهة إلى شرق آسيا عبر المحيط الهندي، عبر تعاون الأسطول الهندي والإسرائيلي في المحيط الهندي؛ مما يشكل تهديداً على الجبهة الشرقية للعالم العربي في منطقة الخليج العربي من جهة المحيط الهندي<sup>(٢)</sup>.

لقد اشترت الهند من إسرائيل قوارب هجوم متقدمة (DOVA)، وبعض طائرات الاستكشاف بدون طيار، وأجهزة رادار متقدمة أيضاً، وأجهزة إلكترونية لطائرات سوخوي الروسية.

ونلاحظ أيضاً أن تعزيز التبادل الثقافي بين الهند وإسرائيل، وكذلك التبادل التجاري والاستثمارات؛ يعكس مدى الأهمية الاستراتيجية للهند في نظر إسرائيل؛ إضافة إلى التعاون المهم والخطر في المجال العسكري وخاصة في المحيط الهندي لتطويق العالم العربي، وخاصة الخليج العربي من الشرق، كما تتبادل المعلومات الاستخبارية ضد الحركات الإسلامية في المنطقة العربية والإسلامية، وخاصة أن إسرائيل تستفيد من الاستخبارات الهندية عن منطقة الخليج العربي؛ مما توفره العمالة الهندية في دول الخليج العربي؛ حيث إن هناك حوالي ٣, ٥ ملايين عامل هندي بدول مجلس التعاون الخليجي.

وخلال زيارة مستشار الأمن القومي الهندي «شير براجيش ميشرا» للولايات المتحدة؛ ألقى محاضرة في المجلس اليهودي الأمريكي (A.T.C)، وعبر عن علاقة المحور الثلاثي (الأمريكي - الإسرائيلي - الهندي) بقوله:

“India, the United States and Israel have fundamental Similarities. We are all democracies, sharing a common vision of Pluralism, tolerance and equal opportunity, Stronger Indian-U.S. relations, and Indian Israel relations have a natural logic”.<sup>(3)</sup>

وإضافة إلى العلاقات الهندية الإسرائيلية التي أصبحت أقرب إلى التحالف الاستراتيجي منه إلى التعاون؛

(1) Ibid.

(2) Ibid.

(3) Address by Shri Brajesh Mishra, National security Advisor at American Jewish Council, may 8, 2003, Embassy of India Washington.D.C.



فإن كلاً من الهند وإسرائيل قد فتحت قنوات اتصال مع الصين الشعبية، فإسرائيل تقوم بتزويد بكين بالتكنولوجيا المتقدمة؛ في الوقت الذي أخذت الصين أيضاً تقترب من الهند لاحتوائها أو تحييدها على الأقل من التحالف مع الولايات المتحدة، وهذا يؤثر في العلاقات التاريخية الباكستانية - الصينية، ويفقد باكستان ورقة ضغط حدود الهند الشمالية<sup>(١)</sup>. وتستغل إسرائيل علاقاتها التجارية في مجال الأسلحة مع الصين الشعبية؛ من أجل منع التكنولوجيا العسكرية الصينية من البيع إلى الدول العربية والإسلامية وباكستان؛ مثل الصواريخ البالستية.

### سابعاً: استراتيجية الحكومة الباكستانية:

تلتقي أهداف دول المحور الثلاث (الهند، وإسرائيل، والولايات المتحدة) في مجموعة مطالب؛ فبالنسبة للهند هي: إضعاف باكستان، والضغط عليها لحل قضية كشمير وفق الشروط الهندية، ومنع باكستان من دعم الجماعات الإسلامية، وبناء دولة علمانية فيها على غرار تركيا الكمالية، وإضعاف الجماعات الإسلامية، وإصلاح التعليم الديني. وهذه الأهداف أيضاً لا تختلف الولايات المتحدة مع الهند فيها، وتطلب بالإضافة إلى ذلك: منع تسرب التكنولوجيا النووية خارج باكستان، والإشراف على المفاعل النووي الباكستاني، ومحاربة الجماعات الإسلامية تحت ما تسميه محاربة الإرهاب، وعلمنة باكستان على غرار تركيا الكمالية.

أما إسرائيل؛ فهي تريد إقامة علاقات دبلوماسية مع باكستان؛ أي الاعتراف الباكستاني بإسرائيل، ثم ضمان أمن إسرائيل بعدم نقل أو استعمال التكنولوجيا النووية للأقطار العربية أو الإسلامية، وإخراج باكستان من خريطة دعم القضية الفلسطينية، ثم تطبيع العلاقات معها.

وباختصار؛ هناك مطلب الجماعات الإسلامية، وكشمير، والمفاعل النووي الباكستاني، والحرب على ما تسميه الإرهاب الإسلامي.

### أ - موقف الحكومة الباكستانية من الحركات الإسلامية:

عندما وصل مشرف إلى الحكم في أكتوبر ١٩٩٩م بانقلاب عسكري؛ كانت هناك انتقادات أمريكية وبريطانية لهذا الانقلاب؛ بحجة أنه أطاح بحكومة ديمقراطية جاءت إلى السلطة من خلال الانتخابات البرلمانية، ولكن أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١م جعلت مشرف الحليف المفضل للولايات المتحدة؛ لدرجة أن الحكومة الأمريكية رفعت الحظر الاقتصادي والتجاري عن باكستان الذي كانت فرضته بسبب تجاربها النووية عام ١٩٩٨م.

إن مشرف رغم انقلابه العسكري ما كان باستطاعته تثبيت نفسه لولا تعاطف الجماعات الإسلامية مع

(1) Krumar 2001, op.cit.



الانقلاب، ولكن تحت الضغوط الأمريكية؛ فإن مشرف قد تخلى عن حركة طالبان في أفغانستان التي كانت تمثل العمق الاستراتيجي لباكستان مع جمهوريات آسيا الوسطى الإسلامية، والتي كانت تعتبرها باكستان ذات أهمية في العلاقات التجارية الباكستانية.

لقد تبنت الحكومات الباكستانية حركة طالبان عند ظهورها، واحتضنها جهاز الاستخبارات الباكستاني (I.S.I) باعتبار أنها حققت الاستقرار في باكستان، وكانت باكستان أول دولة تعترف بحكومة طالبان، وأقنعت السعودية والإمارات العربية بالاعتراف بها، ثم فجأة تخلت حكومة مشرف عن عمقها الاستراتيجي، وأدى ذلك إلى سقوط طالبان، وإلى مجيء اتحاد الشمال الطاجيك للهيمنة على السلطة في كابل بدعم الولايات المتحدة؛ مما أضعف الموقف الباكستاني<sup>(١)</sup>. ولا تزال حكومة كرزاي توجه الاتهام مرة تلو الأخرى إلى باكستان بأنها ما زالت تؤوي عناصر طالبان المطاردة، وتتهم عناصر الجيش الباكستاني بدعم بقايا طالبان لإعادة نفوذها في أفغانستان؛ في ظل عدم استقرار الحكومة الأفغانية والخلافات التي تعصف بها؛ رغم الدعم الأمريكي وبعد مرور عامين على إسقاط طالبان.

وقد كان مسوِّغ الحكومة الباكستانية أنه لا خيار لباكستان إلا الإذعان للمطالب الأمريكية؛ بسبب التقارب الهندي الأمريكي، وتضامن الهند كليا مع الولايات المتحدة في حربها في أفغانستان.

وقد أكد البيان المشترك بين الهند والولايات المتحدة أثناء زيارة رئيس وزراء الهند فاجبائي في شهر نوفمبر ٢٠٠١م، أي بعد الأحداث، أن الولايات المتحدة والهند ضد الإرهاب، وأنهما معاً في خندق واحد لمحاربة الإرهاب نفسه، وربط أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١م بأعمال المقاومة الكشميرية؛ باعتبارهما إرهاباً من المستوى نفسه<sup>(٢)</sup>.

وقد فتح مشرف الأجواء الباكستانية والمطارات أمام الطائرات الأمريكية، وفتح مكاتب لمكتب التحقيقات الفيدرالية (F.B.I) في باكستان.

واعتبر موقف مشرف تحالفاً استراتيجياً مع الولايات المتحدة في مقاومة ما تسميه الولايات المتحدة بالإرهاب، وقامت الحكومة الباكستانية بتسليم عدد كبير إلى الولايات المتحدة من أفراد الجماعات الإسلامية غير الباكستانيين الذين فروا من أفغانستان أثناء الحرب، كما قامت بتسليم بعض أفراد القاعدة؛ مثل رمزي بن الشيبة.. وغيره.

وقد شاركت القوات الأمريكية مع القوات الباكستانية في عمليات مشتركة في منطقة القبائل، والتي لم

(١) «لماذا تتخوف واشنطن من الانفجار بين الهند وباكستان؟»، المحرر العربي، العدد ٣٤٦، ٢٠٠٢م، ص ٨.

(2) Raj Bothra, Indo-U.S. Relations in the after math of September 11, 2001, prepareby American Association of Physicians from India (AAPI), Centre for civil society, July 2002. Raj Bothra. Op.cit.





يكن يدخلها الجيش الباكستاني أصلاً باعتبارها منطقة قبائل يصعب التغلغل فيها .

وبسبب الضغط الأمريكي والهندي ؛ فلقد قامت الحكومة الباكستانية بحظر الجماعات الإسلامية التي كانت تنشط في كشمير ؛ مثل جيش محمد ، وجماعة عسكر طيبة ، رغم أن الحكومة الباكستانية كانت تدعم هذه الجماعات .

أما المطلب الآخر الذي قام مشرف أيضاً بتلبيته ، فهو التشديد على المدارس الدينية ، ومحاولة تغيير مناهجها ، ووضعها تحت رقابة الحكومة الباكستانية ؛ علماً بأن هذه المدارس منتشرة في باكستان ، وتقدم خدمات اجتماعية ، وتقوم بالتدريس مجاناً في بلد تنفشي فيه الأمية ، ولقد قدمت الولايات المتحدة لباكستان ١٠٠ مليون دولار من أجل الإشراف على هذه المدارس وتغيير مناهجها ؛ باعتبار أن هذه المدارس الدينية مصدراً للتطرف - حسب رأي الإدارة الأمريكية ..

والحقيقة أن هذه المدارس الدينية رغم وجودها القديم ازدادت في العقد الأخير ، وحسب دراسة جامعة «قاضي أعظم» ؛ فإن عدد هذه المدارس يُقدَّر بما بين ١٥ ألف إلى ٢٠ ألف مدرسة ، تضم ثلاثة ملايين طالب ، بل إن وزير الداخلية الباكستانية محيي الدين حيدر قد اعترف في يونيو ٢٠٠٠م بأن هناك حوالي ٦٠ ألف مدرسة في باكستان من المدارس الدينية ، وتقدم هذه المدارس الغذاء والمأوى لطلبتها ، وتتلقى تبرعات من المنظمات الخيرية الإسلامية ومن دول الخليج العربي<sup>(١)</sup> .

وحسب تصور دول المحور الثلاثي ؛ فإن هذه المدارس تدرس الحقد على اليهود والهندوس والنصارى ، وهو ما تتخذه دول المحور مسوغاً للعمل على إغلاق بعضها أو تحويلها إلى نظام التعليم الحكومي ، وإدخال برامج حديثة لتقليل المناهج الإسلامية .

وحسب المصادر الباكستانية ؛ فإن هذه المدارس تضم طلبة من خارج باكستان ، وخاصة من الدول الآسيوية الذين يأتون لدراسة الدين وحفظ القرآن في هذه المدارس ، وقد قُدِّر عدد الطلبة من خارج باكستان في هذه المدارس بحوالي ٣٥ ألف طالب ، ولذلك قامت حكومة مشرف بمنع الطلبة الأجانب من الدراسة في هذه المدارس إلا بإذن من سفارات بلادهم ومن وزارة الداخلية الباكستانية ، وتم طرد عشرين ألفاً تقريباً في شهر رمضان الماضي .

ولكن تواجه الحكومة الباكستانية معضلة توفير بديل لهذه المدارس ؛ لأن ذلك يحتاج إلى ميزانية ضخمة ، وفي الوقت الذي تخفف فيه هذه المدارس عن كاهل الحكومة الباكستانية ، ورغم إقدام حكومة باكستان على تلبية الطلب الأمريكي - الهندي (بعلمنة التعليم) ؛ فإن الحكومة الباكستانية تواجه موقفاً مضاداً من الأحزاب

(١) وتختلف المصادر في عدد المدارس الدينية في باكستان ، فهذا المصدر يعتمد في قوله على مصادر تصل بالعدد إلى ٦٠ ألف مدرسة ، بينما تحقيق مجلة نيوزويك الأسبوعية ٢ ديسمبر ٢٠٠٣م ذكر أن العدد ٢٧ ألف مدرسة .





والجماعات الإسلامية، في الوقت الذي كان مشرّف يعاني فيه من أزمة شرعية سياسية قد تؤدي بحياته<sup>(١)</sup>.

#### ب - التحول الباكستاني في قضية كشمير :

رغم أن باكستان قد خاضت ثلاث حروب مع الهند من أجل كشمير المسلمة (١٩٤٧-١٩٤٨-١٩٦٥ م)؛ فإن حكومة مشرّف قد تراجعت في موقفها من حركات الجهاد في كشمير تحت ضغط الولايات المتحدة والهند، فقد حظرت عدداً من المنظمات والحركات السياسية؛ هي: (عسكروية) وهي حركة سلفية جهادية، و (جيش محمد) هي حركة ديوبندية سنية، (جيش الصحابة) وهي سنية، و (الحركة الجعفرية) وهي شيعية، و (حركة تنفيذ الشريعة)<sup>(٢)</sup>.

وعندما قامت بعض المنظمات بالظهور تحت أسماء أخرى جديدة، وبعد تصريح السفارة الأمريكية في باكستان بأن هذه المنظمات وقادتها ما زالوا يمارسون عملهم في باكستان؛ قامت الحكومة الباكستانية باعتقالهم. وقد طرح الجنرال مشرّف حلاً لقضية كشمير بعيداً عن قرارات الأمم المتحدة، ويقصد ما نصت عليه القرارات من إجراء استفتاء وحق تقرير المصير. وعندما واجه معارضة شديدة من الجماعات الإسلامية تراجع، وأكد أنه لا حلول إلا من خلال قرارات الأمم المتحدة؛ علماً بأن ٨٠٪ من سكان كشمير هم من المسلمين.

وإذا كانت باكستان قد فقدت عمقها الاستراتيجي في أفغانستان؛ فإن كشمير ذات أهمية استراتيجية لها؛ لأن الأنهار الرئيسة التي تروي الأرض الباكستانية وخاصة منطقة البنجاب تنطلق من كشمير، وتحكم الهند في كشمير يعني تحكمها في مصادر مياه باكستان؛ علماً بأن منطقة البنجاب هي الرئة التي تتنفس منها باكستان في المجال الزراعي ورعي المواشي.

ولا يقتصر الأمر على الجانب الاقتصادي الزراعي والمياه، فالجبال الشاهقة ذات أهمية استراتيجية لباكستان؛ إضافة إلى الروابط الدينية والتاريخية لباكستان مع كشمير<sup>(٣)</sup>.

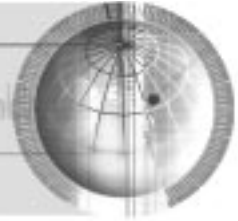
إن الضغط الهندي على باكستان يمثل محاولة لإيجاد انقسام داخل المنظمات الإسلامية الكشميرية وإبعادها عن باكستان؛ من خلال اعتقال الأخيرة لقادة بعض الحركات الإسلامية وحظر نشاطهم، ولهذا نجد أنه في يونيو ٢٠٠٢م أعلن حزب الجماعة الإسلامية، والذي كان يدعو إلى انضمام كشمير إلى باكستان، قطع العلاقات مع باكستان. وقد اعتبر ذلك في نظر المراقبين السياسيين تحولاً كبيراً في سياسة الحزب؛ إضافة إلى قطعه (حزب الجماعة الإسلامية) لعلاقاته مع (حزب المجاهدين) الذي يمثل اتحاد حوالي ١٢ مجموعة عسكرية مقاتلة من

(1) Ibid.

(٢) عبد العزيز كامل، «تفعيل صراع الحضارات هل يبدأ من كشمير؟»، البيان عدد ١٧٧، جمادى الأولى ١٤٢٣هـ، يوليو-أغسطس ٢٠٠٠م، ص ٦٨-٧٤. وانظر أيضاً: تقرير أحمد موفق زيدان، الحياة، (٢٩/١٢/٢٠٠٣م)، (ص ١٠)، وانظر أيضاً: تقرير إخباري: «مشرّف يطمئن أمريكا بشأن الالتزام النووي الباكستاني» Arabonline 25 - 12 - 2003.

(٣) سيدي محمد أمين، (حول أهمية كشمير)، سياسة - الرباط، العدد ٨٠، رجب ١٤٢٤هـ.





أجل فصل كشمير عن الهند منذ عام ١٩٨٩ م وإلحاقها بباكستان<sup>(١)</sup>.

ولقد نجحت الضغوط الهندية في جرّ حكومة باكستان والجنرال مشرف خاصة إلى صدام مع المنظمات المسلمة الكشميرية، فقد ذكرت مصادر أمنية باكستانية إثر محاولة اغتيال مشرف في ديسمبر ٢٠٠٣ م؛ «أنها أحصت أكثر من ٤٥ مجموعة إسلامية متشددة محظورة أو غير محظورة، وهو ما يجعل تحرك الأجهزة صعباً في ظل إصرار تلك الجماعات على الثأر لعناصرها الذين سلّمهم الرئيس الباكستاني إلى أمريكا في إطار تعاونه في الحرب على الإرهاب»<sup>(٢)</sup>.

وباختصار؛ فإن حكومة الجنرال مشرف متورطة في قضايا متعددة، وتخليه عن كشمير أو الإذعان إلى المطالب الهندية تحت الضغط الأمريكي؛ قد يوجد له مصاعب سياسية قد تؤدي بحياته؛ خاصة أن الشارع الباكستاني مؤيد لقضية كشمير وحركاتها الجهادية، وهذا ما دفع الجنرال مشرف إلى التراجع عن تصريحاته لرويتز بأنه ينحي جانباً طلب إسلام أباد تنفيذ قرارات الأمم المتحدة، والمعروف أن قرارات مجلس الأمن الدولي والتي عمرها أربعة عقود تدعو باكستان والهند إلى سحب قواتهما من كشمير، وإجراء استفتاء حول رغبة أهل كشمير في الانضمام إلى إحدى الدولتين الهند أو باكستان، وكانت تصريحات مشرف قد قوبلت بترحيب في الهند، لكنه تراجع وأصر على حل قضية كشمير وفقاً لقرارات الأمم المتحدة، وقابل ساسة من كشمير الباكستانية، وأكد لهم أن لا حل لقضية كشمير إلا بتنفيذ القرارات الدولية.

إن واقع السياسة الباكستانية الحالية يؤكد أن مشرف، تحت الضغط الأمريكي وفي ظل الظروف الإقليمية والدولية، على استعداد لأن يتخلى عن بعض بنود قرارات الأمم المتحدة، حيث قال: «إذا كانت الهند ترى صعوبة في تنفيذ بعض البنود في ظل الظروف الحالية؛ فإننا يمكننا إجراء حوار بتنحياتها جانباً إذا كنا جادين»<sup>(٣)</sup>.

#### ج - احتواء التكنولوجيا والخبرة النووية الباكستانية:

لقد كانت الولايات المتحدة وإسرائيل ضد امتلاك باكستان للسلح النووي. وعلى الرغم من أن الهند قد أجرت أول تجربة نووية لها عام ١٩٧٤ م؛ فإنها لم تواجه بمثل المعارضة التي ووجهت بها باكستان، ويظهر أن الحسابات الاستراتيجية الأمريكية للأسلحة النووية في الهند مقابل الصين الشعبية؛ قد جعلها تغض الطرف عن التسلح الهندي، وذلك في ظل النظام الثنائي القطبية في الحرب الباردة.

ولكن كانت الحكومات الباكستانية المتعاقبة منذ عهد علي بوتو تواجه الضغط والتهديد، وعندما تم إجراء

(1) Islamic party severs ties with Pakistan in shock -U-turn. TCM Breaking News (Archives Breaking News ) Sunday, January 30, 2002.

(٢) الحياة (٢٩/١٢/٢٠٠٣م)، (ص ١٠).

(٣) انظر: تقرير وكالات الأنباء السابق، والذي نشر على موقع 25-12-2003.Arabonline.





التجربة النووية الباكستانية عام ١٩٩٨ م؛ واجهت باكستان قيود حظر من الولايات المتحدة لم تنته إلا بعد تحالف مشرف معها في الحرب على الإرهاب<sup>(١)</sup>.

ويظهر أن إسرائيل والولايات المتحدة تريدان منع انتقال الخبرة النووية الباكستانية إلى الدول العربية والإسلامية لضمان عدم استعمالها ضد إسرائيل، فالتوازن النووي - توازن الرعب - قد يؤدي إلى توازن قوى بين الهند وباكستان، وإلى تحقيق الردع بين الطرفين.

وتردد أن باكستان من خلال قنوات سرية وأمريكية أكدت لإسرائيل أنها لن تسمح بنقل التقنية النووية أو استعمالها ضد إسرائيل<sup>(٢)</sup>؛ علماً بأن الأخيرة قد حاولت مراراً بالاشتراك مع الهند ضرب المفاعل النووي الباكستاني على غرار ما قامت به إسرائيل وحدها من ضرب المفاعل النووي العراقي في يونيو ١٩٨١ م.

وقد أكد الجنرال مشرف للولايات المتحدة أن باكستان لن تقدم خبراتها النووية لأحد، وذلك على إثر ما تردد عنه أن إيران قد سربت بعض المعلومات إلى الوكالة الدولية للطاقة الذرية؛ بأنها استفادت من خبرة العلماء الباكستانيين؛ مما دفع الحكومة الباكستانية إلى التحقيق مع أبي القنبلة النووية الباكستانية عبد القدير خان؛ في إطار عملية استجواب للعديد من العلماء الذين يعملون في مختبراته البحثية لتخصيب اليورانيوم قرب إسلام آباد<sup>(٣)</sup>.

إن التحقيق الباكستاني مع علماء الذرة؛ يعكس مدى حساسية باكستان من الضغوط الأمريكية، ومحاولتها إرضاء الولايات المتحدة في جميع الأحوال؛ مما يعكس خوفها بسبب تراجع أهميتها الاستراتيجية في نظر الولايات المتحدة<sup>(٤)</sup>.

ولقد تردد أن بعض الخبراء الأمريكيين - والإسرائيليين - قد زاروا سرّاً المنشآت النووية الباكستانية للتأكد من عدم خطورتها، وتفيد بعض المصادر أن الخبراء الإسرائيليين الذين دخلوا تحت غطاء خبراء أمريكيين؛ مكثوا بضع ساعات في المنشآت النووية؛ مما يعكس جدية موقف الجنرال مشرف في التحالف مع الولايات المتحدة، وفتح قنوات مع إسرائيل؛ كمحاولة لاختراق المحور الثلاثي (الأمريكي - الإسرائيلي - الهندي)<sup>(٥)</sup>.

#### د - الاعتراف الباكستاني بإسرائيل:

أعلن برويز مشرف في مقابلة تلفازية في ١٧ يونيو ٢٠٠٣ م، وقبل زيارته للولايات المتحدة لمقابلة الرئيس

(1) K. Alan Kronstadt "Pakistan-U.S. relations, Congressional Research Service, Library of Congress, October 3, 2003, p.8.

(2) أحمد القرشي «باكستان وإسرائيل: تفاهم استراتيجي صامت بوساطة أمريكية منذ عام ١٩٩١ م»، الحياة (١٣/٨/٢٠٠٣ م).

(3) أحمد موفق زيدان، «الكشف الإيراني المتسرع عن العلماء الباكستانيين»، القدس العربي (٣٠/١٢/٢٠٠٣ م)، (ص ١٩)،

الكاتب نفسه، «لا ترسلوا أبناءكم ليكونوا علماء نوويين كيلا يُعتقلوا» (٢٢/١٢/٢٠٠٣ م)، (ص ١٩).

(4) المصدر نفسه.

(5) المحرر العربي (باريس)، العدد ٤١٠، (٢٨/٨/٢٠٠٣ م).



جورج بوش ، أن على باكستان أن تكون براجماتية وتعترف بإسرائيل . والمعروف أن باكستان منذ إنشائها عام ١٩٤٧م لم تعترف بإسرائيل ، وتدون على جواز السفر الباكستاني بأنه لا يسمح لرعاياها بزيارة إسرائيل . والواقع أن الرئيس الباكستاني يتعرض للضغط الأمريكي ؛ في ظل إدارة أمريكية يمينية متطرفة من أكثر الإدارات تأييداً لإسرائيل ، كما أن باكستان قلقة من التعاون الهندي - الإسرائيلي على حساب الأمن الباكستاني<sup>(١)</sup> .

ورغم أن باكستان كانت عضواً في الأحلاف العسكرية الغربية مثل «الستو» و«السيو» ؛ فإن ذلك ليس موجهاً لإسرائيل ، وقد قاد وزير الخارجية الباكستاني ظفر الله خان (١٩٤٧م - ١٩٥١م) المجموعة العربية عام ١٩٤٧م ؛ في رفض قرار التقسيم الخاص بفلسطين ١٨١ الصادر في ٢٩ / ١١ / ١٩٤٧م ، وقد وقفت باكستان بشدة ضد دعوة إسرائيل إلى المؤتمر الإفريقي - الآسيوي عام ١٩٥٤م ، أو إلى مؤتمر باندونج عام ١٩٥٥م ، ورغم بعض التحولات في السياسة الباكستانية عام ١٩٥٦م ؛ فإن الموقف الباكستاني كان دائماً مؤيداً للقضايا العربية والفلسطينية ؛ خاصة أنها عضو مؤسس في منظمة المؤتمر الإسلامي<sup>(٢)</sup> .

ويظهر أن المؤسسة العسكرية الباكستانية ، وخاصة المقربة من الرئيس مشرف ؛ تجد أن الظروف الإقليمية والدولية تدفع بباكستان إلى الاعتراف بإسرائيل لاحتواء العلاقات الإسرائيلية - الهندية ، ولقد لعبت إسرائيل على وتر العلاقات مع الهند ؛ بالتلويح إلى باكستان بأنها على استعداد للتوازن في علاقاتها مع الهند ، وهذا ما صرح به «ديفيد إيفري» أحد أعضاء مجلس الأمن القومي الإسرائيلي : «أعتقد أن إسرائيل ينبغي أن تقوم بإرساء علاقات طبيعية مع الهند وباكستان»<sup>(٣)</sup> . وحاول مشرف أن يبين أن التعاون الهندي - الإسرائيلي ليس موجهاً ضد باكستان فقط ، بل يرتبط بالشرق الأوسط كله ؛ في محاولة لإدخال ذلك التعاون في صميم الصراع في الشرق الأوسط ، وخاصة الصراع العربي - الإسرائيلي ؛ لكسب الموقف العربي إلى جانب باكستان<sup>(٤)</sup> .

وإضافة إلى محاولة احتواء علاقة إسرائيل والهند ؛ فإن المؤسسة العسكرية الباكستانية تطمح في الحصول على أسلحة من إسرائيل ، وتحييد مؤسسات الصناعة العسكرية الإسرائيلية المندفعة في دعم التحالف مع الهند من أجل الربح المادي من بيع الأسلحة للهند .

كما أن هذه المؤسسة ترى أيضاً أن العلاقات الباكستانية مع إسرائيل قد يكسبها تأييد اللوبي الصهيوني في الولايات المتحدة ؛ لما لهذا اللوبي من دور في السياسة الخارجية الأمريكية ، وسيطرته على وسائل الإعلام في الولايات المتحدة ، وقد حثت المنظمات الصهيونية الأمريكية برويز مشرف على الاعتراف بإسرائيل ، وفتح صفحة معها .

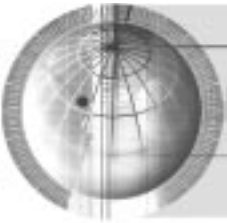
(1) P.R. Kumaraswamy " Beyond the Veil: Israel-Pakistan Relations ", BESA center for strategic Studies service: mem no. 55, March 2000.

(2) Ibid.

(٣) «علاقات عسكرية باكستانية إسرائيلية محتملة» ، الهندوستان تايمز ، (٩ / ٣ / ١٩٩٩م) .

(٤) أحمد القرشي ، مصدر سبق ذكره .





وتحاول حكومة مشرف أيضاً أن تستغل قضية الاعتراف بإسرائيل للحصول على المساعدات الاقتصادية الأمريكية، وتردد أن الولايات المتحدة سوف تقدم إلى باكستان ثلاثة مليارات دولار في حال اعترافها بإسرائيل، كما أنها سوف تستفيد من الاستثمارات الأمريكية، ولقد حاولت باكستان إقناع رجال الأعمال الباكستانيين بإقامة علاقات مع الإسرائيليين، وقد قام رجل الأعمال الباكستاني الكابتن المتقاعد «إكرام سيغال» بزيارة إسرائيل وزيارة مركز بيجن - السادات للدراسات الاستراتيجية<sup>(١)</sup>. ولا شك بأن هذه الزيارة مدفوعة من الحكومة الباكستانية؛ كنوع من فتح القنوات مع إسرائيل لاختيار الوقت المناسب للاعتراف بها.

أما الجانب الاستراتيجي الآخر - من وجهة نظر الحكومة الباكستانية، وخاصة المؤسسة العسكرية - فهو طمأنة إسرائيل بشأن قلقها وخوفها من السلاح النووي الباكستاني، وتردد أن إسرائيل وباكستان قد توصلتا إلى تفاهم استراتيجي حول السلاح النووي بوساطة أمريكية غير مباشرة، وأنها لن تسرب هذه التقنية لدولة أخرى.

ولكن على الرغم من الأهمية الاستراتيجية التي تراها حكومة مشرف في الاعتراف بإسرائيل؛ فإن هناك معارضة شديدة من الأحزاب والجماعات الإسلامية، والتي هددت مشرف صراحة بأنها ستكون نهاية حكمه إذا أقدم على هذه الخطوة، كما أن بعض عناصر المؤسسة العسكرية، وخاصة في الاستخبارات الباكستانية، تؤيد هذه المعارضة، إلا أن التيارات العلمانية وبعض الجماعات الموالية لمشرف قد تدفع به إلى الاعتراف بإسرائيل في وقت يجد أنه تحت ضغط أمريكي - هندي قد يجد له مسوغاً لهذه الخطوة، ولكن محاولات الاغتيال التي تعرض لها في ديسمبر الماضي قد تدفعه إلى التردد في الاعتراف بإسرائيل<sup>(٢)</sup>.

هـ - مشرف والقوى الآسيوية: الصين، وروسيا الاتحادية:

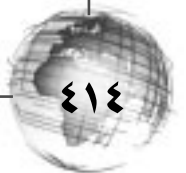
يحاول الرئيس مشرف فك حصار دول المحور عن باكستان؛ من خلال إقامة علاقات سياسية واستراتيجية مع كل من القوى الآسيوية التقليدية، وخاصة الصين الشعبية بوصفها قوة اقتصادية عظمى محتملة، وكذلك من خلال استغلال الخلافات الروسية - الأمريكية؛ بعد إقامة القواعد العسكرية الأمريكية المحيطة بروسيا في آسيا الوسطى<sup>(٣)</sup>.

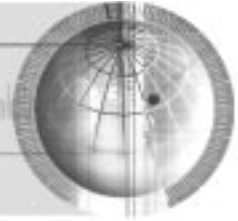
إن الصين الشعبية رغم علاقاتها التاريخية خلال الحرب الباردة بباكستان، ووقوفها معها ضد الهند، والنزاع الحدودي الصيني - الهندي؛ فإنها تحافظ على علاقة مع الهند من أجل إبعادها عن التحالف مع الولايات المتحدة على حساب الصين الشعبية، وهذا يفسر التقارب الصيني من الهند باعتبارها دولة نووية وثاني دولة في

(1) See BESA Bulletin no.16 October 2003, p.5 (www.besacenter.org).

(2) الحياة، (٩/١٢/٢٠٠٣م)، (ص ١٠).

(3) Ron Synovitz, Musharraf Seeks strategic ties with Moscow, RadioFree Europe/Radioliberty/snc, (www.rferi.org) Feb /4 / 2003.





عدد سكانها بعد الصين الشعبية في العالم ، وتبادل الزيارات الرسمية بين القادة الصينيين والهنود<sup>(١)</sup>.

وتحاول باكستان إثارة مخاوف الصين الشعبية من التقارب الهندي - الأمريكي ، ولكن يظهر أن باكستان لم تعد تشكّل ثقلًا استراتيجياً مهماً للصين في الظروف الإقليمية والدولية الراهنة ؛ خاصة بعد وجود القوات الأمريكية على الأرض الباكستانية .

أما روسيا ؛ فيظهر أن حكومة مشرف بدأت تسعى إلى تحسين العلاقات معها حينما وجدت قلقاً روسياً من التقارب الهندي - الأمريكي ، والذي يقفز على العلاقات الهندية - الروسية الحميمة التي نشأت خلال الحرب الباردة ، خاصة أن روسيا طرحت فكرة التحالف الثلاثي (الهندي - الصيني - الروسي) لمواجهة الهيمنة الأمريكية . وقد قام برونيز مشرف بزيارة موسكو في فبراير / ٢٠٠٣م لمدة ثلاثة أيام بدعوة من الرئيس بوتين ، وهي الزيارة الأولى لرئيس باكستاني لموسكو منذ ثلاثة عقود ؛ بسبب الدعم الباكستاني للمجاهدين الأفغان أثناء الغزو السوفييتي لأفغانستان<sup>(٢)</sup> ، كما كانت موسكو قلقة من دعم إسلام آباد لحركة طالبان ، وما سببته الأخيرة أيضاً من الاعتراف بحكومة الشيشان ، ولكن بعد سقوط طالبان ، ووقوع باكستان تحت ضغط المحور (الهندي - الإسرائيلي - الأمريكي) ؛ وجدت موسكو فرصة للتعاون مع باكستان بسبب تخوفها من الدور الهندي ؛ خاصة بعد نمو الاستثمارات الأمريكية في الهند ، والتعاون العسكري بينهما ، والمناورات على الحدود الصينية والمحيط الهندي بين القوات الأمريكية والهندية<sup>(٣)</sup> .

#### و - الإحباط الباكستاني في أفغانستان وإيران :

برزت الخلافات الإيرانية - الباكستانية منذ دعم باكستان لحركة طالبان السنية التي كانت على خلاف عميق ودموي مع الشيعة ، وقد شاركت إيران مع الولايات المتحدة في إسقاط حركة طالبان ، وفتحت قنوات معها ، وقام الرئيس الأفغاني حميد كرزاي بزيارة إلى طهران ، وهي إشارة إيرانية لدعمها إلى كرزاي صنيع الولايات المتحدة<sup>(٤)</sup> .

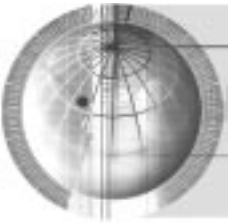
ويظهر أن الولايات المتحدة قد فتحت الآن قنوات سرية مع إيران ؛ بسبب التورط الأمريكي في العراق بعد إسقاط النظام العراقي ، والمقاومة العنيفة التي تواجهها القوات الأمريكية هناك ، والتي دفعته إلى أن تعتمد على إيران في محاولة لتحييد الشيعة في العراق عن السنة والمقاومة العراقية ، ويظهر ذلك من اعتراف إيران بمجلس الحكم الانتقالي الذي عينته الولايات المتحدة .

(1) Ramtanu Maitra " Vajpayee's historic trip strengthens Indo-China ties" Executive Intelligence Review, June 2003. See also, U.S. and China dance with India" Bharat trarsha 1947, April 19,2001.

(2) Rom Synovitz. Op.cit.

(3) Alan Kronstadt, India: Chronology of events, CRS report for Congress, Congressional Research Service, Library of Congress, October 7, 2003, p.6.

(٤) أحمد البرصان ، «إيران والولايات المتحدة ومحور الشر : الدوافع السياسية والاستراتيجية الأمريكية» ، السياسة الدولية ، عدد ١٤٨ ، أبريل ٢٠٠٢م ، ص (٤١-٣٥) .



وتستغل إيران المأزق الأمريكي في العراق في سبيل فتح صفحة جديدة مع الولايات المتحدة، خاصة أن قوات الاحتلال في العراق قد أعطت أكثر المقاعد للشيعية في مجلس الحكم الانتقالي، وقد رفعت الولايات المتحدة مؤخراً بعض القيود والحصار عن إيران، وجمّدت نشاط «مجاهدي خلق» في العراق، وأعلنت نيتها ترحيلهم إلى دول أخرى.

والحقيقة أن السياسة الإيرانية براجماتية أكثر مما هي عقدية، فمفهومات الثورة الإيرانية في ظل ما يُسمّى بالإصلاحيين؛ قد أصبحت من تاريخ الثورة الإيرانية، والشيطان الأكبر الأمريكي أصبح الآن حليفاً غير معلن في أفغانستان والعراق.

وفي ظل الضغط الأمريكي على إيران بشأن المفاعل النووي الإيراني؛ حاولت حكومة إيران توريط باكستان في هذه القضية؛ من خلال تسريب معلومات عن تعاون علماء باكستان والخبرة التي قدموها في هذا المجال؛ مما دفع الحكومة الباكستانية إلى التحقيق مع علمائها، وهي بلا شك خطوة ذات أبعاد سلبية لحكومة باكستان؛ حيث تحقق مع علمائها الذين حموا أمنها القومي بالوصول إلى القنبلة الذرية، وفي الوقت الذي يصل أبو القنبلة الذرية الهندية إلى منصب رئاسة الدولة في الهند؛ فإن أبا القنبلة الذرية الباكستانية عبد القدير خان يخضع للتحقيق من قبل حكومته، وهذا يعكس المأزق الكبير الذي وقعت فيه حكومة مشرف، حيث أصبحت محاطة من كل جانب بقوى تتحالف وتعمل ضدها، ولذلك تحاول الحكومة الباكستانية أن ترضي الأطراف المجاورة على حساب قضايا قومية؛ سواء في كشمير أو بالتجاوز عن التدخل الأمريكي في شؤونها الداخلية وتحدي السيادة الباكستانية<sup>(١)</sup>.

ولا بد أيضاً من الإشارة إلى التقارب الهندي - الإيراني، والزيارات المتبادلة بين البلدين، وخاصة أن الهند ترى في إيران منفذاً لتجاريتها إلى آسيا الوسطى، وبهذا تكون إيران أقرب إلى سياسة الهند والمحور بشكل غير مباشر؛ رغم أن باكستان عقدت علاقات تعاون وصداقة مع إيران رغم الخلافات معها حول أفغانستان.

### ثامناً: موقف التيار الإسلامي من استراتيجية الحكومة الباكستانية:

قال حميد غول رئيس الاستخبارات الباكستانية الأسبق: «إن القومية الباكستانية جذورها ممتدة في الإسلام؛ لأن الدولة قامت على أساس الدين. وإذا كانت الحكومات الباكستانية المتعاقبة على السلطة علمانية؛ فإن الجماعات والأحزاب الإسلامية تشكّل قوة سياسية مهمة، ولقد ازداد نفوذ هذه الجماعات في عهد ضياء الحق مع الغزو السوفييتي لأفغانستان وحركة الجهاد؛ إضافة إلى الثورة الإيرانية عام ١٩٧٩م وإسقاط نظام الشاه؛ مما عزز نفوذ هذه الجماعات والأحزاب الإسلامية.

وترجع قوة هذه الجماعات إلى قدرتها على تعبئة الشارع الباكستاني والمؤسسات التربوية، وكذلك وجود

(١) أحمد موفق زيدان، مصدر سبق ذكره، (٣٠/١٢/٢٠٠٣م).



عناصر داخل المؤسسة العسكرية تؤيدها، ثم إنها أصبحت الآن لها عناصرها العسكرية المدربة، فهناك جماعات إسلامية تميل إلى استعمال القوة المادية لتحقيق أهدافها».

وحسب قول حميد غول؛ فإن هناك حوالي ٢٢٥ ألف مسجد في القرى والأرياف لا يمكن تعبئة سكانها إلا من خلال الدعوة الإسلامية والدفاع عن الإسلام، فمن هذه الناحية كان يمكن وقوف الشارع الباكستاني وراء الحكومة. وقد أدت هذه الجماعات دوراً مهماً في حركة الجهاد في أفغانستان، وشكّلت لجان الدفاع عنها<sup>(١)</sup>.

وحسب المصادر الباكستانية؛ فهناك حوالي ٣٦ حزباً وجماعة إسلامية في باكستان؛ من أشهرها وأكثرها فعالية: جماعة (علماء الإسلام)، و (الجماعة الإسلامية) المنتشرة داخل باكستان، والتي هي أقرب إلى فكر (الإخوان المسلمون)، وترى الإسلام يشمل الاقتصاد والسياسة، وهي أكثر انفتاحاً على العالم الخارجي من غيرها.

وقوة الأحزاب الإسلامية ظهرت في الانتخابات النيابية الأخيرة التي أجريت في أكتوبر ٢٠٠٢م، حيث شكّلت الجماعات الإسلامية تحالف (ائتلاف الأحزاب الإسلامية)، أو ما يُسمى (مجلس العمل المتحد) (M.M.A)، وقد تشكّل هذا الائتلاف من ستة أحزاب إسلامية؛ هي: (الجماعة الإسلامية) بزعامة قاضي حسين أحمد، وجماعة (علماء الإسلام) بقيادة فضل الرحمن، جماعة (علماء الإسلام) بقيادة سميع الحق، وجماعة (علماء باكستان) بقيادة شاه أحمد نوراني، ومركز (جماعة أهل الحديث) بقيادة ساجد مير، وجماعة (طريق إسلامي) بقيادة ساجد تقي، والتي كانت تُسمى (طريق الجعفرية) - وهي شيعية<sup>(٢)</sup>.

لقد حصلت هذه الجماعات (مجلس العمل المتحد) على ٥٨ مقعداً في الجمعية الوطنية، فجاءت في المرتبة الثالثة بعد حزب (رابطة مسلمي باكستان) بزعامة «قائد أعظم» الموالى لبروز مشرف، والذي جاء في المرتبة الأولى بـ ١١٥ مقعداً، وحزب (الشعب الباكستاني) بزعامة «بينظير بوتو»، والذي جاء في المرتبة الثانية بـ ٨٠ مقعداً. كما أن (مجلس العمل المتحد) (أمل) حصل على أغلبية المقاعد في مقاطعات الحدود الشمالية الغربية (NWFP)<sup>(٣)</sup>.

ونلاحظ أنه لأول مرة في تاريخ باكستان السياسي يحدث تحالف بين الأحزاب الإسلامية في الانتخابات النيابية للوصول إلى الجمعية الوطنية في باكستان، كما أنه لأول مرة يحدث إقبال شعبي في باكستان على انتخاب مرشحي الأحزاب الإسلامية.

(1) BBC News. Tuesday 2, October 2001, (<http://11.bbc.co.uk/2/hil/south-asia/1575304stm>)

(2) Ibid.

(3) Ashutosh Misra "Rise of Religious parties in Pakistan: Causes and prospects" Strategic analysis, vol.27 no.2, April-June 2003, pp.186-201.



ولا شك أن هناك عدة أسباب دفعت إلى هذا الائتلاف السياسي، وهي: خطر التحديات التي تواجه هذه الأحزاب والجماعات بعد سقوط حركة طالبان، والضغط الأمريكي على الحكومة الباكستانية لتقزيم الجماعات الإسلامية، والإشراف على المدارس الدينية، إضافة إلى أن فساد الأحزاب العلمانية، مثل حزب الشعب، وحزب الرابطة الإسلامية نواز شريف، جعل هذه الجماعات تحقق فوزاً في هذه الانتخابات.

ولا شك أن المرونة السياسية التي اتبعتها استراتيجية الائتلاف الإسلامي؛ بطرحها مشكلات الفساد والتركيز على القضايا المحلية؛ كل ذلك أسهم في نجاحها في الجمعية الوطنية، كما أن سياسة الحكومة كانت ترى أن نجاح الائتلاف لا يهدد الرئيس مشرف بقدر ما تهدده الأحزاب العلمانية.

وقد طرحت أحزاب الائتلاف الإسلامي مرونة سياسية في حل قضية كشمير من خلال قرارات الأمم المتحدة، كما أن علاقاتها التاريخية مع المؤسسة العسكرية وإعطاء الشرعية السياسية لها؛ أسهم في مساعدة أحزاب الائتلاف في حملتها الانتخابية؛ إضافة إلى البرنامج الاقتصادي الذي طرحته بشأن الإصلاح الزراعي، والقضاء على الإقطاع، وتوزيع الملكيات على الفلاحين<sup>(١)</sup>.

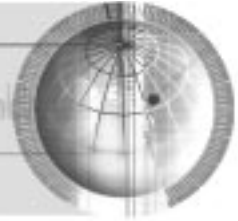
ويظهر من تتابع الأحداث أن هناك صفقة بين مشرف والأحزاب الإسلامية، ظهرت من خلال فوز مشرف في الحصول على الثقة بالبرلمان الباكستاني رغم مقاطعة الأحزاب العلمانية الرئيسة للتصويت في الجمعية الوطنية ومجلس الشيوخ، فقد حصل مشرف في جلسة الثقة في نهاية شهر ديسمبر الماضي على ٦٥٨ صوتاً؛ من إجمالي ١١٧٠ مقعداً في المجالس المحلية و (الجمعية الوطنية) و (مجلس الشيوخ)؛ مما جعله يحصل على أغلبية الأصوات التي يحتاج إليها للفوز بثلاثي الأصوات، وأن يستمر في الحكم إلى عام ٢٠٠٧م، ولكن تم الاتفاق على أن يتنحى مشرف عن قيادة الجيش مع ديسمبر ٢٠٠٤م<sup>(٢)</sup>.

وفي ظل نفوذ الائتلاف الإسلامي (أمل) في الجمعية الوطنية والمقاطعات الغربية الباكستانية؛ نجد أن باكستان تحت الضغط الأمريكي تتجه نحو التطبيع مع الهند، فقد أعادت العلاقات الدبلوماسية بينها وبين الهند إلى مستوى السفراء؛ بعد أن كانت مقطوعة منذ ٢٠٠٢م، كما عادت حركة النقل بين البلدين، وفتح المجال الجوي للطائرات بينهما، إضافة إلى تقديم كل منهما معلومات عن المنشآت النووية في البلدين، وحضور رئيس الوزراء الهندي إلى قمة دول جنوب آسيا للتعاون الإقليمي (سارك)، والتي عُقدت في إسلام آباد في الأسبوع الأول من يناير/ ٢٠٠٤م.

ويمكن تفسير الضغط الأمريكي لحل النزاع بينهما بأنه مرتبط بحرب الولايات المتحدة ضد ما تسميه الإرهاب الدولي، وأهمية الدور الباكستاني لمحاربة الإرهاب، واستقرار مشاركة باكستان في المشاريع

(1) Ibid

(٢) «مشرف يفوز في اقتراع على الثقة بالبرلمان الباكستاني»، صحيفة الرأي (عمان) (٢/ ١/ ٢٠٠٤م)، (ص ١).



الاقتصادية الأمريكية؛ مثل نقل البترول عبر أفغانستان إلى الموانئ الباكستانية.

وظهرت أهمية دور البلدين أيضاً في الاستراتيجية الأمريكية؛ من خلال طلب الإدارة الأمريكية من الهند وباكستان إرسال قوات عسكرية إلى العراق؛ بعد أن تعرضت القوات الأمريكية إلى مقاومة شرسة في العراق بعد إسقاطها لنظام صدام، إلا أن المعارضة الداخلية في باكستان وخاصة الإسلامية حالت دون ذلك، كما أن الهند تراجعت عن إرسال قواتها بسبب عدم وجود مظلة دولية لهذا التدخل العسكري؛ إلا أن هذا التدخل متوقع في حالة تردي الأوضاع في الشرق الأوسط<sup>(١)</sup>.

أما بشأن الاعتراف بإسرائيل؛ فقد صرح القاضي حسين أحمد أمير الجماعة الإسلامية بقوله: «إن الاعتراف بإسرائيل يعني نهاية حكم مشرف»<sup>(٢)</sup>، كما عبّرت جمعية «نوائي وقت» عن موقف الشعب الباكستاني من تصريحات مشرف بالقول: «على رئيس الجمهورية أن يعلم أن الشعب قبل الكثير من قراراته غير المقبولة على مضمض متحكماً بغضبه، لكن الإقرار بسيطرة إسرائيل على قبلة المسلمين الأولى سيكون أمراً لن يقبله الشعب، لماذا يريد أن يُقدم على خطوة تُسرّع في زوال حكمه؟!»<sup>(٣)</sup>.

### تاسعاً: الموقف الإسلامي والعربي من حصار المحور الثلاثي لباكستان:

يمكن تقييم الموقف الإسلامي، سواء العربي وغير العربي، إلى مستويين؛ المستوى الرسمي، المستوى الشعبي:

أولاً: على مستوى الحكومات العربية والإسلامية:

إن تلك الحكومات أضعف من أن تقدم مساعدة إلى باكستان، سواء في الجانب السياسي أو العسكري أو الاقتصادي، فبعد احتلال العراق وإسقاط النظام السياسي فيه؛ أصبحت الأنظمة العربية والإسلامية في موقف الدفاع وتحت الحماية الأجنبية، فالقوات والقواعد الأمريكية موجودة في المنطقة العربية وخاصة دول الخليج العربي، ولقد أسهم بعضها في إسقاط النظام العراقي واحتلاله، وبعضها فتح أبوابه للتفتيش والتخلي عن المفاعات النووية كما فعل العقيد القذافي، بل قامت ليبيا بتسريب معلومات تفيد مساعدة بعض العلماء الباكستانيين لها في برنامجها النووي، ولا شك أن ذلك يحرج الحكومة الباكستانية، ولكنه في الوقت نفسه يدل على أهمية الخبرة النووية الباكستانية للعالم الإسلامي، كما في حالة إيران وليبيا التي ادعتا الاستفادة من خبرة علماء باكستان.

(١) خلال زيارته لواشنطن في يونيو ٢٠٠٣، صرح مشرف بطلب الإدارة الأمريكية منه بإرسال قوات إلى العراق؛ كما فعلت مع الهند، ولكن مشرف ربط ذلك تحت المظلة الدولية ومشاركة دول إسلامية أخرى، ولكن الواقع أن الوضع الداخلي لن يسمح له بذلك في ظل العداء الشعبي لدور أمريكا في العراق وأفغانستان.

(2) Israel and Pakistan" Procrastination, June 30, 2003.

(٣) أحمد القرشي، مصدر سبق ذكره.





أما الدول الإسلامية الأخرى؛ فإننا نجد أفغانستان تحت الاحتلال الأمريكي ورئيس أفغاني مدين بوجوده إلى الولايات المتحدة لا يتعدى نفوذه مدينة كابل .

أما تركيا فهي عضو في حلف الناتو، وهي دولة علمانية لا تزال تبني العلمانية الكمالية المتطرفة، ولها علاقات استراتيجية مع إسرائيل، بل تردد أن تركيا تتوسط بين إسرائيل وباكستان من أجل اعتراف الأخيرة بإسرائيل .

وإذا نظرنا إلى الموقف الإيراني؛ نلاحظ أن إيران تحالفت مع الولايات المتحدة في إسقاط نظام حركة طالبان رغم الوجود الأمريكي العسكري على حدودها الشرقية، وفتحت مجالها الجوي للطائرات الأمريكية، كما أن إيران ساهمت في إسقاط نظام صدام واحتلال العراق؛ من خلال المعارضة العراقية التي كانت موجودة في إيران . وقد فتحت القنوات السرية والعلنية بين إيران والولايات المتحدة من خلال رفع العقوبات المالية الأمريكية المؤقتة عن إيران، بل إن البلدين في طريقهم إلى الانفتاح بعد حاجة الولايات المتحدة إلى دور إيران من أجل تحييد الشيعة في العراق في المقاومة التي تقودها الجماعات السنية ضد الاحتلال الأمريكي (١) .

لقد أسهمت باكستان بقواتها العسكرية في تدريب بعض القوات لدول الخليج العربي، وخاصة في المملكة العربية السعودية التي لها علاقات عسكرية متميزة مع باكستان، فبالإضافة إلى العلاقات العسكرية والاقتصادية والثقافية؛ فإن باكستان قد مارست دور الوسيط في حصول السعودية على صفقة الصواريخ الصينية (رياح الشرق SSI-2)، بل ذهبت صحيفة هآرتس الإسرائيلية إلى القول بوجود تعاون باكستاني سعودي في مجال السلاح النووي، وهذه الإشارة تعكس قلق إسرائيل من قدرة باكستان النووية التي أطلقت عليها «ناشرة السلاح النووي»، بل تسعى إلى وضع السلاح والمفاعلات النووية الباكستانية تحت الإشراف الدولي؛ لأن باكستان الدولة الإسلامية الوحيدة التي تملك الرادع النووي - أو توازن الرعب - في مواجهة إسرائيل، ولذا فهي تحاول جادة إخراج باكستان من التضامن العربي الإسلامي حتى تصبح إسرائيل القوة النووية الوحيدة في الشرق الأوسط (٢) .

إن احتلال العراق تحت ذريعة أسلحة الدمار الشامل التي لم تكن موجودة أصلاً؛ يعكس استراتيجية أمريكية إسرائيلية لمنع العالم العربي خاصة والإسلامي عامة من امتلاك أسلحة استراتيجية تقلب ميزان القوى

(١) حول الاتصالات الأمريكية الإيرانية ومحاولة استغلال المساعدات الإنسانية بسبب الزلزال الذي أصاب مدينة بم الإيرانية؛ أكدت المصادر الإيرانية والأمريكية أن هناك اتصالات، وطلبت أمريكا في يناير ٢٠٠٤م بإرسال وفد أمريكي برئاسة إليزابيث دول، وهي شخصية مرموقة في الحزب الجمهوري وزوجة روبرت دول المرشح السابق في الحزب الجمهوري للرئاسة، محمد نون «واشنطن تعرض إرسال وفد إلى طهران» الحياة، ٣ / ١ / ٢٠٠٤م، (ص ٧) .

(٢) زئيف شيف «الرياض لم تعد تثق في أمريكا فتوجهت لإسلام أباد»، هآرتس (٢٩ / ١٠ / ٢٠٠٣م)، مترجم في القدس العربي (٣٠ / ١٠ / ٢٠٠٣م)، (ص ٧) .



لمصلحة العالم العربي . وتعتبر الولايات المتحدة أن العالم العربي والإسلامي يملك موارد اقتصادية واحتياطياً هو الأول في العالم من البترول ، والذي يتحكم في البترول يتحكم في الاقتصاد العالمي ، ولذلك تسعى الولايات المتحدة إلى السيطرة على منابعه ، ولذلك جاء احتلال العراق . والنقطة المهمة أن الولايات المتحدة ليس لها حليف دائم بل مصالح استراتيجية ، فقد ساعدت نظام صدام بالأسلحة والاستخبارات ، وورطته في الحرب مع إيران لمدة ثماني سنوات لإنهاء العالم الإسلامي وإبعاده عن إسرائيل ، ولضرب الدولتين المسلمتين بعضهما ببعض في حرب طاحنة أضعفتهم ، وبعد ذلك انقلبت على هذا النظام وأسقطته واحتلت بلاده . وكذلك الآن باكستان الحليف الاستراتيجي للولايات المتحدة على مدى نصف قرن خلال الحرب الباردة ؛ انقلبت الولايات المتحدة عليها وتحولت إلى الهند .

ولذلك يجب على الحكومات العربية والإسلامية أن تنظر إلى مصالحها الاستراتيجية ، وأن تعزز التضامن العربي والإسلامي للوقوف في وجه المحور الأمريكي - الإسرائيلي - الهندي ، وأن تمارس الضغط على الهند من خلال المصالح الاقتصادية والعمالة الهندية للابتعاد عن التحالف مع إسرائيل على حساب الدول الإسلامية ، وأن تدعم المسلمين الهنود الذين يصل عددهم إلى حوالي ٢٠٠ مليون مسلم للضغط على الحكومة الهندية للخروج من المحور الأمريكي - الإسرائيلي .

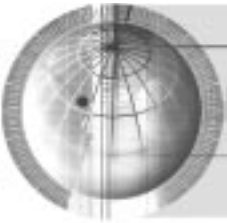
ثانياً : على المستوى الشعبي في العالم العربي والإسلامي :

لا يزال العالم العربي والإسلامي يعاني من الخلافات بين الأنظمة السياسية والتيارات الإسلامية ، فهناك صراع في بعض الدول الإسلامية - سواء في المغرب العربي والمشرق وحتى في جنوب شرق آسيا ، كما هو الحال في إندونيسيا - بين الحكومات والمعارضة الإسلامية ؛ مما يقلل من دور الشعوب في الوقوف مع باكستان في مواجهة الحصار الاستراتيجي لها من دول المحور الثلاثي (الأمريكي - الإسرائيلي - الهندي) .

ويبقى الدور الفعّال من خلال منظمات المجتمع المدني والجمعيات الإسلامية المتعددة ، والتعاون بين الأحزاب السياسية سواء كانت إسلامية أو وطنية ؛ من أجل دفع الحكومات إلى التضامن مع باكستان ؛ خاصة أن القوات الباكستانية قد خدمت كثيراً من دول الخليج العربي ، وأيضاً من أجل دعم الجماعات الإسلامية الباكستانية ومدارسها ؛ لأن لها دوراً كبيراً في القضايا الإسلامية ، والدفاع عن حقوق الشعوب الإسلامية كما في فلسطين وغيرها .

إن التواصل بين الجماعات الإسلامية في الهند وباكستان وبقية دول جنوب شرق آسيا مع العالم العربي ؛ يمكن أن يشكل قوة ضغط على الحكومات ، حتى على الولايات المتحدة والهند ، من أجل الابتعاد عن حصار باكستان .





## الختام

إن العالم الإسلامي في آسيا يقع ضمن ما يُسمَّى «حافة اليابس» (Rimland) في نظرية سبيكمان الجيواستراتيجية، والتي قال فيها: «إن من يسيطر على حافة اليابس يسيطر على أوراسيا وبالتالي على العالم». ونجد أن «سبيكمان» حذّر الولايات المتحدة من سيطرة دولة على الحافة، أو توحّد دول الحافة في منطقة ذات أهمية استراتيجية. وإثر بروز المد الإسلامي فيما يُسمَّى بالصهوة الإسلامية تخشى أمريكا امتلاكه القوة النووية.

وإن السلاح النووي الباكستاني الذي كان يطلق عليه الرئيس ذو الفقار علي بوتو (القنبلة الإسلامية) في ظل وجود قنبلة هندوسية ونصرانية ويهودية؛ قد يتعرض إلى الإجهاض في ظل الظروف الإقليمية والدولية الحالية، وفي ظل العجز الذي يهيمن على الدول العربية والإسلامية.

ولا شك أن انهيار باكستان بإذعانها إلى المطالب الأمريكية والاعتراف بإسرائيل؛ يفقد العالم العربي حليفاً استراتيجياً قوياً؛ لأن الخبرات الباكستانية التي يمكن الاستفادة منها قد تكون تبخرت.

إن وجود ٣, ٥ ملايين عامل هندي في الخليج العربي مع وجود القوات الأمريكية والبريطانية؛ يضع العالم العربي في مأزق أمني حقيقي، حيث تسخر هذه العمالة لخدمة إسرائيل<sup>(١)</sup> والولايات المتحدة فيما يشكّل «الطابور الخامس» في المنطقة العربية؛ خاصة في ظل محاولة إسرائيل والولايات المتحدة جر الهند للتدخل العسكري في المنطقة بدعوتها للإسهام بقواتها في العراق. وإذا لم تظهر جبهة عربية إسلامية تركز على قاعدة جماهيرية شعبية في العالم العربي والإسلامي تواجه هذا المحور؛ فقد يقع العالم العربي والإسلامي في فخ نظرية الدومينو الأمريكي فتسقط بعد العراق الواحدة تلو الأخرى.

(١) «الموساد يدرّب مئات الجواسيس الآسيويين والأفارقة للعمل في الدول العربية»، المحرر العربي، العدد (٣٤٦، ٢٤) (٢٠٠٣/٥/٣٠م)، (ص ٨).

